مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 1051-1065

المكاتب العربية و السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر
إقليم قسنطينة أنموذجا

Arab offices and French settlement policy in Algeria
Constantine province as a model

نورالدين صابر، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر،

saber.noureddine03@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 11-08-2022 تاريخ قبول المقال: 08-03-2023

الملخص: اعتمدت السياسة الاستعمارية في الجزائر على تشجيع الهجرة الأوربية لتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي في البلاد، وقد تعددت أوجه هذه السياسة و التي شملت كل الميادين ، لذلك بادرت حكومة باريس بإصدار قرار 22 جويلية 1834م ، الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا وقام بتقسيمها إلى ثلاث عمالات هي:"الجزائر، قسنطينة، وهران" تخضع مبدئيا لمراقبة الحاكم العام بالجزائر العاصمة. تطلب المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر إنشاء هيئات خاصة لتنظيم و تسهيل عملية الاستيطان أهمها المكاتب العربية لتتمكن من تهجير قوة بشرية من داخل أوربا وفرنسا إلى الجزائر، و خصتها بامتيازات ، فإلى جانب الفرنسيين استقدمت فرنسا عدة طوائف أوربية وأجنبية لجعل الجزائر أرضا للكولونيالية العالمية.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار الفرنسي ، المكاتب العربية ، السياسة الاستيطانية الفرنسية ، الهجرة الأوربية

Abstract: The colonial policy in Algeria relied on encouraging European immigration to consolidate the French colonial presence in the country, and this policy had many aspects, which included all fields, so the Paris government initiated the issuance of a resolution on July 22, 1834, which provided for the annexation of Algeria to France and divided it into three provinces: "Algiers, Constantine and Oran", initially subject to the control of the governor-general of Algiers. The French Settlement Project in Algeria required the establishment of special institutions to organize and facilitate the settlement process, the most important of which are Arab offices to be able to displace a human force from within Europe and France to Algeria, and privatized it with privileges.

Key words : French colonialism, Arab offices, French settlement policy, European immigration.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 1051-1065

مقدمة:

بدأت الإدارة الفرنسية في التفكير في عملية إرساء دعائم الوجود الفرنسي في الجزائر ، بمجرد استكمال الجيش الفرنسي من احتلال مدينة الجزائر، لذلك فكرت في عملية السيطرة المنظمة و الشاملة للقضاء على الهوية الجزائرية و إلحاقها بفرنسا ، و لن يتأتى لها ذلك إلا من خلال تطبيق سياسة استبطانيه واسعة و سريعة بمختلف الوسائل و الاستراتيجيات ، فهدفها الأساسي كان تدمير بنى المجتمع الجزائري في شتى المجالات من خلال تشجيع عملية الهجرة الاستيطانية للعنصر الفرنسي خاصة و حتى الأوربي، فالغاية تبرر الوسيلة، لذلك أوجدت فرنسا أجهزة إدارية عسكرية جديدة للسهر على تسهيل و تنفيذ عملية الاستيطان و قد كانت المكاتب العربية إحدى أخطر هذه الأجهزة بما قدمته من خدمات للعملية الاستيطانية ، حيث عمل ضباط المكاتب العربية في البداية على تدعيم سياسة التعمير بل " التدمير "، من خلال سياسة استعمارية استيطانية اعتبرها المختصون أخطر و أبشع أنواع الاستعمار، حيث تعتمد على إقصاء الآخر وإبادته من أجل الاستيلاء على أرضه و ممتلكاته. و قد سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى تكريس هذا الشكل من الاستعمار بشكل ممنهج و مدروس تدريجيا بدءا بعملية الاحتلال العسكري ، ثم الاستيلاء على أراضي الجزائريين و مصادرتها وصولا إلى وضع قوانين ترسم هذه عملية الاستيطان و تقننها.

تكمن أهمية الموضوع في أن المكاتب العربية كانت بمثابة جهاز تجسس واستخبار يزود الإدارة الاستعمارية بكل المعطيات عن الأهالي و المجتمع الجزائري ومعرفة الدور الذي لعبته هذه المؤسسة، وحيثيات إخضاع الجزائريين، بالإضافة إلى أنها لعبت دورا كبيرا في التوسع الاستيطاني بالجزائر. أما عن أهداف الدراسة فتكمن في تسليط الضوء على مؤسسة المكاتب العربية التي استحدثها الاستعمار الفرنسي في الجزائر لخدمة سياسة الاستيطان و تسهيل مصالح المستوطنين. تتمثل إشكالية الدراسة في مدى مساهمة مؤسسة المكاتب العربية في وتوطيد أركان السياسة الاستيطانية الفرنسية بالجزائر عامة و بإقليم قسنطينة على وجه الخصوص . و قد اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي الذي يرتكز على الوصف و التحليل للوصول إلى النتائج المرجوة من البحث.

المبحث الأول: المكاتب العربية

إذا كان تاريخ الجزائر في الفترة الاستعمارية يرتبط كل الارتباط بما سجله لنا الاستعمار نفسه عن سير الأحداث ومعطياتها ، فان إدارة المكاتب العربية في الواقع كانت الإدارة الأكثر اتصالا بالجزائريين لمعاينة كل صغيرة و كبيرة ، فهي تمثل عيون الإدارة الاستعمارية التي تراقب الأحوال وتدون الأحداث وكل ما يقع في البلاد. لذا يجب التعريف بهذه المؤسسة ، و تبيين ظروف نشأتها و الهدف من إنشائها في الجزائر.

المطلب الأول: تعريف المكتب العربي

يعرفها "فرديناند هيقونيت" (Ferdinand Hugonnet) أحد رؤساء تلك المكاتب كما يلي : " المكتب العربي هو حلقة وصل ما بين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830م و الجنس الأهلي الذي يقطن البلاد من قبل ولا يزال إلى الآن" .. [1]

أما "شارل ريشار" الذي شغل هو الآخر منصب رئاسة المكاتب العربية ، فيصفها كما يلي : " أن مؤسسة المكتب العربي هي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا قبل أن تكون وسيلة لتعبيرنا ... [2].

لقد كانت الاستراتيجية الاستعمارية ترمي من وراء إرساء تلك المكاتب بمختلف مدن القطر الجزائري، و توظيف خبراء عسكريين و مدنيين، إلى تحقيق الكثير من الأهداف المسطرة.

المطلب الثاني: نشأة المكاتب العربية

لقد واجهت السلطات الاستعمارية الفرنسية مباشرة إثر احتلالها الجزائر العاصمة عام 1830م مشكل إدارة السكان، حيث وجد المستعمر نفسه يجهل لغة هذا المجتمع و عقيدته و تقاليده وطبيعة بلاده الجغرافية[3]، ونتيجة لفوضى الاحتلال التي اكتسحت البلاد حاول المحتل إيجاد مؤسسة تكون همزة وصل بين قواته الغازية و الجزائريين ، فأحدث الدوق "دورفيقو" (Dorfigau) الحاكم العام للجزائر عام 1833م، فرعا في مكتب سماه "المكتب العربي" الذي أطلق عليه فيما بعد " مصلحة الشؤون العربية " ،

[1]Hugonnet Ferdinand, Souvenir d'un Chef du bureau Arabe, Michel Lévy Frères Libraires, Paris,1858,pp 5-6.

[2] Richard. Ch, Du Gouvernement Arabe et de L'Institution qui doit L'exercer, Ed Bastide, Alger,1848,pp 19-20.

[3]Germain .R, La Politique Indigène de Bugeaud, Ed La Rose ,Paris,1955,pp 194-195.

و الحقيقة أن تلك الإدارة لم تكن لتهتم بشؤون الجزائريين بقدر ما كانت تعمل على إخضاعهم و بسط نفوذ فرنسا على كامل أنحاء القطر .[1]

عينت الإدارة الفرنسية مجموعة من الشخصيات الفاعلة في الأوساط الأهلية لتولي منصب " أغا العرب" مثل :حمدان بن أمين السكة، محي الدين الصغير بن المبارك، سي حمودة ولد سيدي الشيخ، حاكم قسنطينة و آخرون غير أنهم فشلوا في السيطرة على السكان الناقمين بحكم أن تلك الإدارة كانت تخدم أهداف و مصالح فرنسا .[2]

بعد مجيء الجنرال الفرنسي " بيجو " حدثت تطورات جديدة في مسألة الإدارة وغيرها وكان هذا الأخير يرغب في بسط نفوذ الاستعمار على كامل القطر ، لذا تم إعادة تأسيس إدارة الشؤون العربية بتاريخ 16 أوت 1841م بإيحاء من الجنرال " دوماس " ، البحث عن أسلوب إداري استعماري يمكن بواسطة إخضاع الجزائريين للسلطة الفرنسية و بفعل الضرورة كان لابد من البحث عن عناصر فرنسية عسكرية تتكيف مع الجزائريين و تتوغل في أوساطهم . لأجل ذلك نشأت المكاتب العربية بمقتضى مرسوم وزاري مؤرخ في 1 فيفري 1844م. [3]

مشكلة من نظام متفرع هرمي وفق السلم الإداري لمؤسسة تلك المكاتب ، ويمكن القول أن نشأة المكاتب العربية التي تشكل العنصر الرئيسي في "حكومة العرب " قد اعتبرت من طرف المستعمر منذ البداية كإجراء جيد و هادف من اجل مراقبة و تأطير شيوخ المجتمع الجزائري . [4]

المطلب الثاني: أهداف المكاتب العربية

نشأت المكاتب العربية لأجل تحقيق غايات و أبعاد استعمارية يمكن تلخيصها في ما يلي :

- التمكين للاستعمار و العمل على إخضاع القبائل للسلطة الامبريالية.
- مراقبة تحركات القبائل وقادة الثروات الشعبية و حراسة المشبوه منهم.
- مراقبة الزوايا و الطرق الصوفية و القادة الروحيين .

[1] Yacono. X, Les Bureaux Arabes et L'Evolution des Genres de Vie Indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois, Librairie Armand Colin, Paris, 1953,p 11.

[2] العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، تح: يحي بوعزيز، ط.خ، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2009، ص ص 143-144.

[3] Hugonnet. F, Français et Arabes en Algérie, Lamoricière, Paris,1860,p181.

[4] Vallet. E, Constantine Son passé, son centenaire 1837-1937, Ed. Braham Paris,1937,Vol.LXIV,pp 160-161.

– مساعدة الضباط العسكريين بالبلاد في إدارة السكان وتنفيذ أوامرهم مع توجيه السياسة الاستعمارية.[1]
– التمهيد لطرق الاحتلال و الاتصال و التجارة الاستعمارية عن طريق إقرار الأمن و الاستقرار .
– استخلاص الضريبة من أهالي البلاد و إيداعها في ميزانية الخزينة الفرنسية .
– التقليص من نفوذ رؤساء الأسر القسنطينية الكبرى بالإضافة إلى تولي مهمة القضاء و الفصل في الخصومات و النزاعات القائمة بين السكان .[2]

وعلى أي حال ، فان تلك الأهداف قد حققت مكاسب استعمارية قصد ترسيخ فكرة " الجزائر فرنسية"، وهي في كل الأحوال ليست " إدارة كما يرغب الجزائريون المسلمون " . بحيث تستجيب لحاجياتهم أو تعمل على ترقيتهم أو تحسين ظروف حياتهم ، بل كانت جزء لا يتجزأ من الآلة الاستعمارية الفرنسية التي زرعت الموت و الدمار واتت على الأخضر و اليابس .[3]

المبحث الثاني: إقليم قسنطينة و سياسة الاستيطان

اعتمدت السياسة الاستعمارية في الجزائر على تشجيع الهجرة الأوربية وتقديم المساعدات المختلفة لدعم وتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي في البلاد ، وقد تعددت أوجه هذه السياسة و التي شملت كل الميادين : الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ....، و في مختلف أقاليم الجزائر و على رأسها إقليم قسنطينة شرقا ، الذي مثل وجهة مهمة للكثير من الأوربيين ، فلابد من التعريف بجغرافية الإقليم ثم إبراز مظاهر السياسة الاستعمارية ثم الانتقال للحديث عن سياسة الاستيطان.

المطلب الأول: التعريف بإقليم قسنطينة

يقع القطاع القسنطيني في الجهة الشرقية من الجزائر، حيث كانت مقاطعة الشرق الجزائري كانت منذ سنة 1837 م ، ممتدة من منطقة القبائل إلى غاية الحدود التونسية في حين لم تكن لها حدود مضبوطة من الشمال أو الجنوب سوى البحر المتوسط أو الصحراء . تقدر مساحته بحوالي 87581 كلم ² فهو يحتل المرتبة الأولى و تليها عمالة وهران بحوالي 67352 كلم ، يحده شمالا البحر المتوسط

[1] فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993، ص 117.
[2] سعدالله أبو القاسم ، محمد الشاذلي القسنطيني (1807–1877م) ، الجزائر،1977، ص ص 15– 16.
[3] Lapasset. F, Aperçu sur L'Organisation des Indigènes dans les Territoires Militaires et Civils, Dubos Frères Imprimerie et Librairie, Alger,1850, p2.

بشريط ساحلي يبلغ طوله 365 كلم، ومن الجنوب الأقاليم الصحراوية ، ومن الشرق الحدود التونسية ، ومن الغرب عمالة الجزائر. [1]

إداريا، أصبح هذا القطاع يضم منذ سنة 1937 عشرة دوائر وهذا باحتساب دائرة قسنطينة عاصمة الإقليم وهي: قسنطينة، سكيكدة ، جيجل ، بجاية، بسكرة ، باتنة ، سطيف ، قالمة ، عنابة ،برج بوعريريج و بوسعادة . [2]

قسمت هذه الدوائر إلى 120 بلدية كاملة الصلاحيات [3] (exercice communes de plein) و18 بلدية مختلطة [4] (communes mixtes)، تضم ستة مراكز بلدية تسير وفق نظام الجماعة الذي أنشئ في الفترة الممتدة ما بين 1937، 1945.

المطلب الثاني: مظاهر السياسة الفرنسية في الجزائر

تفننت الإدارة الفرنسية في الجزائر في ابتكار مختلف الطرق و الأساليب لتطبيق سياسة استعمارية فريدة في الجزائر ، و ذلك لتحقيق هدفها الأسمى و هو القضاء على هويته العربية الإسلامية و جعله جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وقد تعددت أوجه هذه السياسة و التي شملت كل الميادين : الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ....

أولا– على المستوى الإداري: تم إصدار مجموعة من القوانين التعسفية :

–إصدار مرسوم 22 جوان 1834م الذي نص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية.

–إصدار قانون 4نوفمبر 1848م الذي يعتبر فيه الدستور الفرنسي الجزائر أرضا فرنسية . [5]

---

[1] Annuaire statistique de l'Algérie, Gallica, 1939 – 1947,p 22.

[2] فركوس صالح ، المرجع السابق ، ص ص 319–321.

[3] البلدية الكاملة الصلاحيات (commune de plein exercice): وهي البلديات التي أغلب سكانها أوربيون ويطبق عليها قانون البلدية في البلد الأم .ينظر: حسين مدني، التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر (1884–1914)– الغرب الجزائري نموذجا– ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران ،2013/2012 ، ص 30.

[4] البلدية المختلطة (commune mixte):هي البلدية التي أغلب سكانها جزائريون وأقلية أوربية أعضاء مجلسها الأوربيون ينتخبون والجزائريون يعينون. ينظر: حسين مدني ،المرجع السابق، ص 30.

[5] بوعزيز يحي ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2009م، ص ص 430–442.

–إصدار قانون "سيناتوس كونسولت" 14 جويلية 1865م تضمن أن الجزائريين رعايا فرنسيون ، وفرض عليهم التخلي عن الأحوال الشخصية.

–قانون "كريميو" 24 أكتوبر 1870 الذي أعطى اليهود حق الحصول على الجنسية الفرنسية مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية .[1]

–قانون الأهالي مارس 1871م ينص على الإجراءات الاستثنائية التي فرضت على الجزائريين تضمن طلب الرخصة للتنقل و الهجرة إلى الخارج ، وطلب المسؤولية الجماعية .[2]

–إصدار قانون 15 أفريل 1884م يقضي باستحداث بلديات كاملة الصلاحيات ليسكنها الغالبية من المستوطنين وبلديات مختلطة بها أقلية من الكولون وغالبية من الجزائريين .

–إصدار قانون التجنيد الإجباري 03فيفري 1912م الذي استهدف تجنيد الأبناء الجزائريين في الجيش الفرنسي استعدادا للحرب العالمية الأولى .[3]

ثانيا– على المستوى الاقتصادي :

–تشتيت ملكية الأعراش لتسهيل نقلها للأوربيين وفقا لقانون 1863.[4]

–نزع ملكية أراضي "المتغيبين" أكثر من 3 أشهر وبدون رخصة من السلطات الفرنسة بموجب صدور قانون الحجز 1848–1864.

–قانون وارني جويلية 1873م ،يهدف إلى القضاء على الملكية الجماعية للأعراش .

–قانون المستثمرات الفلاحية يسمح للشركات الأوربية باستثمار من قطاع الزراعة النقدية مثل الشركة الفلاحية و الصناعية للصحراء الجزائرية 1870م.[5]

ثالثا– على المستوى الاجتماعي و الثقافي :

–هجرة ونزوح الجزائريين كنتيجة لسياسة القمع و التسلط

–تزايد عدد المستوطنيين وتوسع مشاريع إقامة المستوطنات .

–تحول ملاك الأراضي إلى إجراء "خماسين" بمزارع الكولون .

---

[1] بلعباس محمد ، الوجيز في تاريخ الجزائر ، الدار المعاصرة للنشر، الجزائر، 2009م ، ص 305.

[2] Gretaud Marcele , Réalité de la Nation Algérienne , Ed.sociales , paris ,1957, p51 .

[3] عباد صالح ، المعمرون و السياسة الفرنسية في الجزائر 1870–1900م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1984م، ص 119.

[4] بوعزيز يحي ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1991م ، ص ص 430–442.

[5] سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ ، ط 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2013م، ص 215.

–فرنسة الأسماء و المحيط الجزائري "قانون الحالة المدنية ، تغيير أسماء المدن و الشوارع".[1]
–فتح مدارس مختلطة و القضاء على مراكز التعليم و الثقافة العربية و محاربة الدين الإسلامي .
–نفي وإبعاد الأئمة و العلماء و المعان في تنصير الشعب الجزائري .
كل تلك الظروف أدت إلى زرع مجتمع دخيل و غريب في عاداته و أسلوب حياته و أخلاقه في المجتمع الجزائري .[2]

المطلب الثالث: سياسة الاستيطان

اعتبرت فرنسا الجزائر منذ بداية الاستعمار مستعمرة لإسكانها بالفرنسيين لكنها اصطدمت بانخفاض الهجرة الفرنسية إلى الجزائر، الشيء الذي جعلها تتجه نحو الأوربيين عامة و الإسبان و الإيطاليين بصفة خاصة ففي جانفي 1840م أكد "بيجو" على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر[3]، يسيطر فيها المعمرون الفرنسيون في ندائه الموجه إلى سكان الجزائر بمناسبة وصوله إلى هذه الأخيرة كحاكم عام في 23 فيفري 1840م ، وصرح أن الغزو بدون الاستيطان سيكون عقيما .[4]

وبذلك أدركت فرنسا أن لا وجود لها في الجزائر بدون مستوطنين مدنيين يدعمون جيش الاحتلال ضد رأي أي حركة جزائرية مناهضة له بحيث رأت فرنسا في الجالية الأوربية على أنها ستكون مصدرا لتزويد الإدارة الاستعمارية بالموظفين ، وعلى أنها تملك الكفاءة في تحضير المواد الأولية قصد إرسالها إلى فرنسا بحكم ارتباط هؤلاء المستوطنين بالسوق الفرنسية أو بعبارة أخرى يعني خلق وسيط بين المنتجات الصناعية الفرنسية الحديثة و الشعب الجزائري الذي مازال يعتمد على الصناعة اليدوية .[5]

إن أول محاولة للاستيطان الرسمي كانت سنة 1832م حيث وصلت إلى ميناء الجزائر سفينة تحمل 400 مهاجر ألماني وسويسري[6]،قسمتهم السلطات الاستعمارية في الجزائر إلى مجموعتين الأولى تتكون من 50 عائلة أقامتها في دالي إبراهيم ووزعت عليها أراضي بلغت مساحتها 227 هكتار، أما

[1] عباد صالح ، المرجع السابق ، ص 119.
[2] المرجع نفسه ، ص 119.
[3] Paul Azan ,Bugeaud et L'Algérie, le Petit Parisien, Paris,p51.
[4] Jules Gérard , L'Afrique du Nord, 2ème Ed , Edition Dentu, Paris,1860,pp 353-357.
[5] دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1975م،ص72.
[6] de Baudicour Louis, Histoire de la Colonisation de l'Algérie, Crallamel, Paris,1860,pp 116-117.

المجموعة الثانية فتكونت من 23 عائلة ، أقيمت في "القبة" ووزع عليها 93 هكتارا من الأراضي ، لكن هذه المحاولة فشلت لنقص الإمكانيات المادية لدى هؤلاء الوافدين .[1]

و تتخلص المهمة التي جاء لأجلها الجنرال "بيجو" في القضاء على دولة "الأمير عبد القادر " و توطين أكبر عدد ممكن من المعمرين ، لذلك وسع دائرة الاستيطان في كل الأراضي الخصبة ، وصرح في 14ماي 1840م قائلا "في كل مكان توجد المياه الصالحة و الأراضي الخصبة يجب أن يقيم المعمرون دون الاستفسار عن أصحابها "[2]، ولمجابهة الظروف الحربية في فترة حكمه رأى أن الاستيطان مهمة عسكرية يحققها المعمرون العسكريون أو المدنيون المنظمون عسكريا[3].لكن فشل تلك السياسة قاد السلطات الاستعمارية إلى الاستيطان المدني بإصدار قرار 12 أفريل1841م حيث اشتدت الهجرة الأوربية ، ففي سنة1843م وصل إلى الموانئ الجزائرية 14137 مهاجرا و تفاقمت عمليات بناء المستوطنات وصادرة الأراضي ، كوسيلة للتخلص من العمال العاطلين الثائرين في فرنسا عام 1848م.[4]

تمخضت عن هذه الحملة الاستيطانية حدة الصراع بين المعمرين و الجزائريين إلى غاية أن صدر قانون "سيناتوس كونسولت " 22 أفريل 1863م" لتنظيم عملية النهب لأراضي القبائل .

وبعد سقوط الإمبراطورية الثانية طالب المعمرون بالإدماج وواصلت السلطة الاستعمارية في ممارسة القمع لردع الجزائريين من خلال إصدار مجموعة من المراسيم الهادفة لخدمة التوسع الامبريالي الفرنسي في البلاد .[5]

بعد نشأة المكاتب العربية عام 1844م حدد هذا الإطار من وادي الصومام شمال غربي المقاطعة حتى الحدود التونسية أي إلى غاية دائرة مدينة القالة ، ومن جبال الحضنة غرب جنوب المقاطعة مارا بالزيبان جنوبا حتى قبيلة النمامشة في الجنوب الشرقي من البلاد .[6]

---

[1] Egretaud Marcel, Realité de La Nation Algérienne,2éme Ed- Edi.Sociales ,Paris,1960,p51.

[2] لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، دار التقدم ،موسكو، 1971م،ص210.

[3] Depeyerimhoff ,Enquette sur les Résultats de la Colonisation Officielle 1871-1895,T1,Alger,1906,p51.

[4] Azan Paul ,op.cit,p51.

[5] بوحوش عمار ، العمال الجزائريون في فرنسا، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1975م،ص48.

[6] فركوس صالح ، المرجع السابق ، ص 275.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 1051-1065

المبحث الثالث: دور المكاتب العربية في عملية الاستيطان:

ظهرت المكاتب العربية كأداة من بين الأدوات التي سنتها فرنسا لخدمة توسعها الاستعماري بالجزائر، بل تعدت ذلك حيث كانت أهم مخصصة بالكامل لإنجاح عملية الاستيطان الأوربي بالجزائر، إظافة إلى تخصصات أخرى أوكلت لعمال هذا الجهاز المستحدث.

المطلب الأول: الدور العسكري : تعد المكاتب العربية جزءا لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية ، ذلك أن الإستراتيجية الاستعمارية كانت تستهدف:

–إخضاع الجزائريين و قمع الثروات المناهضة للوجود الفرنسي.

–الجوسسة و مراقبة الرأي العام و تحركات المجاهدين .

–الحيلولة دون وحدة الأمة الجزائرية و مراقبة المؤسسات الدينية.

–استنزاف كل ثروات و موارد البلاد .[1]

–تكوين فرق عسكرية "الزواف ، الصبايحية " لخدمة الاستعمار تحت شعار المحافظة على أمن و استقرار السكان .

وبالرغم من كل الوسائل المستخدمة من طرف العدو لقمع الثروات الرافضة للاحتلال ، فقد ظلت قوافل المحتل تهتز تحت ضربات رجال المقاومة. [2]

المطلب الثاني: إدارة شؤون الجزائريين : بمجرد احتلال الجزائر العاصمة حاولت السلطات الفرنسية تنظيم المجتمع الجزائري إداريا وفق مصالحها ، لأجل ذلك أحدثت تلك المؤسسة التي كان من أولى أولوياتها : التخلص تدريجيا من شيوخ المجتمع و تجسيد الإدارة المباشرة بالعمل على تقويض نظام القبيلة و ما يحكمها من تقاليد دينية و إدارية و اقتصادية و غيرها قصد إضعاف قوتها و تماسكها و تكسير شوكتها ، ولبلوغ ذلك سلكت تلك المكاتب سياسة " فرق تسد " فأشاعت بذلك الفتنة و التناحر بين الإخوة الأشقاء .[3]

أدركت فرنسا انه لابد من القضاء على القضاء الإسلامي الجزائري المستوحى من الشريعة الإسلامية ، ومن ثم عمل ضباط المكاتب العربية في هذا الميدان من اجل تحريف هذا التشريع أو تكييفه بما يتماشى و القانون الفرنسي بالرغم أن الكثير من القبائل ظلت محافظة على شخصيتها مستقلة

[1] Féraud .L.Ch, Histoire des villes de la Province de Constantine ,Philippe ville, Alger,1875,pp 112-113.

[2] . De Paradis. V, Alger au XVIII Siècle , Edité par E.Fagnam, Alger,1898,pp 75-76.

[3] Dufal. J et Warnier .A, Bureaux Arabes et Colons, Paris,1869,p68.

بقضائها و نظام حياتها تواجه كل وسائل الاحتلال المتمثلة في الإبادة الجماعية و الإعدام و النفي و الطرد و التعذيب.

المطلب الثالث: الدور الاقتصادي : لقد هدف المشروع الاستعماري لتلك المكاتب إلى حمل الفلاحين الجزائريين على القناعة بالزراعة الصناعية لتحطيم الفلاحة التقليدية للأهالي . ذلك أن تلقين هؤلاء الفلاحين بعض وسائل فلاحة الاستعمار إنما ليكون المردود في النهاية لصالحه ويظل أبناء الوطن يتخبطون في الأزمات من اجل البقاء . [1]

انتهى ذلك بمصادرة الأراضي و إجبار القبائل على إصلاح ارض البور و الدخول في القروض الربوية ، في حين تضاعف دور الكاتب في المقاطعة بل في كامل القطر لمراقبة تحركات الناس في الأسواق و مبادلاتهم التجارية و إحصاء الثروة الحيوانية و كذا الموارد الأخرى الاقتصادية بهدف تسخيرها للاستعمار .[2]

كما كان دورها واضحا في تطوير التجارة ، في الوقت الذي كان فيه الجزائريون يعيشون مجاعات حادة و أوبئة فتاكة أدت إلى تلاشي قبائل و قرى بكاملها ، في حين لم يحرك ذلك الإخطبوط الاستعماري ساكنا بل ظل يمعن في القتل و التدمير . [3]

المطلب الرابع: الثقافة الاستعمارية و الدور التعليمي : لم تكن مهمة المكاتب العربية تقف عند حد مراقبة تحركات الجزائريين ، بل كانت تستهدف ربط الجزائر بفرنسا ثقافيا و تاريخيا و سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا في هذا الإطار عملت تلك الهيئة بكل الوسائل لكسب النخبة الجزائرية المثقفة لتجعل ألسنتها تلهج بمناقب وخصال فرنسا قصد المحافظة على الوضع الراهن و ترسيخ فكرة الاحتلال . [4]

كما اتجه تفكيرها نحو إدخال التعليم الفرنسي في أوساط بعض الجزائريين و ذلك عن طريق تأسيس مدارس عربية – فرنسية لتجعل من أطفال الجزائر في المستقبل عناصر مؤيدة للاستعمار لكن الفشل كان كبيرا في أكثر التجارب و المشاريع ، لان المساجد و الزوايا ظلت تحافظ على اللغة العربية و استمرارية تعليم أبناء الجزائريين . [5]

---

[1] Garbet. M et Dufal. J, Archives Algériennes, T2 Année,1885,pp80-83.

[2] العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة ،تح: رابح بونار ، ذخائر المغرب العربي، الجزائر،1974، ص ص 47–50.

[3] الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ش و ن ت ، الجزائر،1972، ص 7.

[4] فركوس صالح ، الباي محمد الكبير و بايلك الغرب الجزائري(1779–1796م) ، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، الجزائر،1979، ص ص 100– 112.

[5] العنتري محمد صالح ، فريدة منسية، المرجع السابق ، ص 259.

المطلب الخامس: دورها الاستيطاني : لقد عمل ضباط المكاتب العربية في البداية على تدعيم سياسة التعمير بل " التدمير " ، خاصة طرد السكان من أراضيهم و ديارهم و تهيئتها للمعمرين .[1]

ونتيجة لاتساع الأقاليم المدنية في كامل أنحاء البلاد ، بدأ هؤلاء الضباط يشعرون منذ البداية الستينيات بتراجع نفوذهم ، لتبدأ مرحلة شديدة الصراع السياسي بين النظامين : العسكري الذي تمثله تلك المكاتب،و المدني الذي يمثله المعمرون من اجل حكومة المستعمرة ، هذا الصراع راح ضحيته الجزائريون و انتهى بسيطرة المعمرين على معظم الأراضي و المؤسسات الإدارية و السياسية و الاقتصادية .[2]

الخاتمة:

بعد العرض و التحليل في ظاهرتي المكاتب العربية و الاستيطان بإقليم قسنطينة بالشرق الجزائري خلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- اعتبرت فرنسا الجزائر منذ احتلالها قطعة فرنسية و عملت على إلحاقها بجميع الوسائل و الإمكانيات.
- أقرت فرنسا من خلال قانون 22جويلية 1834 أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، يحكمها حاكم عسكري و هذا يعني السيطرة بمنطق القوة لإخضاعها كليا.
- قيام فرنسا بسن قوانين تتماشى مع مصالح المستوطنين و المتعلقة بنهب الأراضي و مصادرتها لتمكين المستوطن من السيطرة عليها سواءا كانت عامة أو خاصة.
- بعد تولي بيجو منصب الحاكم العام للجزائر سنة 1841م ، قرر تعميم عملية الاستيطان الفرنسي بالجزائر، حتى لا يقتصر الوجود الفرنسي في الجانب العسكري فقط.
- في 1 فبراير 1844م استحدث بيجو جهاز المكاتب العربية، ليكون وسيطا بين الإدارة الفرنسية و الجزائريين بهدف إخضاعهم.
- عملت المكاتب العربية في الجزائر بإشاعة روح الفتنة و الاختلاف بين الزعماء و الأهالي و هو ما يعرف بسياسة فرق تسد لتفتيت العروش.
- كما عملت هذه الهيئة على تفتيت ملكية الأراضي و مصادرتها بطرد الأهالي منها لتهيئها بغرض منحها للمستوطنين.

[1] مذكرات الحاج أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، ترجمة و تعليق: الزبيري محمد العربي ، م و ن ت ، الجزائر،1981، ص 99.

[2] Agéron .Ch.R, Les Algériens musulmans et la France, op.cit, pp37-38.

و في الأخير يمكن القول أن ظاهرة الاستيطان الفرنسي بالجزائر اعتبرت من طرف المؤرخين و الخبراء من أخطر السياسات الاستعمارية عبر تاريخ الإنسانية، حيث لم تدخر فرنسا من خلال سلطاتها و أجهزتها المدنية و العسكرية جهدا للتفنن في تطبيق كل أنواع القوانين و الأحكام القمعية و الوحشية ، بما يتماشى مع تحقيق أهدافها و مصالحها الاستعمارية لإخضاع الجزائريين و حرمانهم من حقهم في أرضهم و ثرواتهم ، كما أن مؤسسة المكاتب العربية ساهمت بشكل كبير في تحقيق الكثير من الأعمال و المكتسبات لصالح السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر. لذلك يجب الأخذ ببعض التوصيات لمواصلة البحث في هذا الموضوع من خلال:

- محاولة تسليط الضوء على هذا الموضوع و مختلف الجوانب المرتبطة به.
- الاعتماد على الوثائق الأرشيفية للاطلاع أكثر على حيثيات الموضوع.
- دراسة آثاره على المستويين القريب و البعيد و في جميع الميادين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بلعباس محمد ، الوجيز في تاريخ الجزائر ، الدار المعاصرة للنشر، الجزائر، 2009م.
2. بوحوش عمار ، العمال الجزائريون في فرنسا، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1975م.
3. بوعزيز يحي ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1991م .
4. بوعزيز يحي ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830م إلى 1954م، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر و التوزيع ، 2009م.
5. دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1975م.
6. لزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ش و ن ت ، الجزائر،1972.
7. سعدالله أبو القاسم ، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877م) ، الجزائر،1977.
8. سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ ، ط 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2013م.
9. عباد صالح ، المعمرون و السياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1984م.
10. العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها، تح: يحي بوعزيز، ط.خ، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2009.
11. العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة ،تح: رابح بونار ، ذخائر المغرب العربي، الجزائر،1974.
12. فركوس صالح ، الباي محمد الكبير و بايلك الغرب الجزائري(1779-1796م) ، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، الجزائر،1979.
13. فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993.
14. لوتسكي فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، دار التقدم ،موسكو، 1971م.
15. مذكرات الحاج أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة، ترجمة و تعليق: الزبيري محمد العربي ، م و ن ت ، الجزائر،1981.

16. . De Paradis. V, Alger au XVIII Siècle , Edité par E.Fagnam, Alger,1898.
17. Annuaire statistique de l'Algérie, 1939 – 1947.
18. Azan Paul ,Bugeaud et L'Algérie, le Petit Parisien, Paris.

19. de Baudicour Louis, Histoire de la Colonisation de l'Algérie, Crallamel, Paris,1860.
20. peyerimhoff .H ,Enquette sur les Résultats de la Colonisation Officielle 1871-1895,T1, imprimerie Torrent,Alger,1906.
21. Dufal. J et Warnier .A, Bureaux Arabes et Colons, Paris,1869.
22. Egretaud Marcel, Realité de La Nation Algérienne,2éme Ed- Edi.Sociales ,Paris ,1961.
23. Féraud .L.Ch, Histoire des villes de la Province de Constantine ,Philippe ville, Alger,1875.
24. Garbet. M et Dufal. J, Archives Algériennes, T2 Année,1885.
25. Germain .R, La Politique Indigène de Bugeaud,Ed La Rose, Paris,1955.
26. Gretaud Marcele , Réalité de la Nation Algérienne , Ed.sociales , paris ,1957
27. Hugonnet Ferdinand, Souvenir d'un Chef du bureau Arabe, Michel Lévy Frères Libraires,Paris,1858.
28. Hugonnet. Ferdinand, Français et Arabes en Algérie, Lamoricière,Paris,1860.
29. Jules Gérard , L'Afrique du Nord, 2ème Ed , Edition Dentu,Paris,1860.
30. Lapasset Ferdinand, Aperçu sur L'Organisation des Indigènes dans les Territoires Militaires et Civils, Dubos Frères Imprimerie et Librairie, Alger,1850
31. Richard. Ch, Du Gouvernement Arabe et de L'Institution qui doit L'exercer, Bastide, Alger,1848.
32. Vallet. E, Constantine Son passé, son centenaire 1837-1937, Vol.LXIV,Ed. Braham, Paris,1937.
33. Yacono. X, Les Bureaux Arabes et L'Evolution des Genres de Vie Indigènes dans l'Ouest du Tell Algérois, Librairie Armand Colin, Paris, 1953